Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 2| Page 235 – 254 | 2023 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

الأدب الأخروي وعلاقته باليوتوبيا
(المفهوم . الجذور ـ الخصائص)

Eschatological Literature and its Relationship to Utopia: Concept, Roots and Characteristics

نورا علي مهدي النوم

باحثة – قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة صنعاء ـ اليمن

Noora Ali Mahdi Annawm

Researcher - Department of Arabic Language and its Literature Faculty of Arts and Human Sciences Sana'a University – Yemen

الملخص:

أرقت فكرة الموت وانتهاء الحياة عقلية الإنسان منذ الأزل؛ فلم يستوعب مسألة فناء الروح بعد وجودها، وكان الأدباء أحد أولئك الذين أقلقتهم الفكرة، فراحوا يسكبون آراءهم وتصوراتهم في أعمال أدبية، تصور مصير هذه الروح، وتبين طبيعة الحياة في عالم ما بعد الموت. من ثَمّ فقد سُلط البحث على موضوع **الأدب الأخروي**، وهدف إلى تأصيل هذا النوع الأدبي، وتتبع جذوره الأولى، وبيان مراحل تطوره مع تحديد خصائصه في كل مرحلة، كما هدف إلى كشف العلاقة بين الأدب الأخروي واليوتوبيا, وقد اتكأ البحث في منهجه على التاريخانية الجديدة التي ترى أن النص بنية جمالية، تتضمن بنى أخرى اجتماعية وسياسية وثقافية لا شعورية، ينبغي إجلاؤها وبيان سياقاتها المختلفة, وأخيرًا خرج البحث بمجموعة من النتائج والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: الأدب الأخروي، اليوتوبيا، العالم السفلي، رؤيا، العالم الآخر.

Abstract:

The idea of death and end of life has haunted the human mind since eternity. He did not understand the issue of the extinction of the soul after its existence. Writers of literary works were among those who were disturbed by the idea، so they started pouring out their opinions and perceptions in literary works، depicting the fate of this soul، and showing the nature of life in the world after death. Thus، this research focused on the subject of eschatological literature، and aimed at rooting this literary genre، tracing its early roots، and showing the stages of its development while defining its characteristics at each stage. It also aimed to reveal the relationship between eschatological literature and utopia. The research relied in its approach on the new historicism، which believes that the text is an aesthetic structure، which includes other subconscious، social، political and cultural structures، which should be manifested and its different contexts should be explained. Finally، the research came out with a set of results and suggestions.

Keywords: Eeschatological literature، utopia، underworld، vision، other world

المقدمة:

للأدب الأخروي جذوره الممتدة عبر التاريخ؛ إذ يمكننا أن نستشف حضورَه الأولي عند الحفر في تراث الحضارات القديمة في الشرق والغرب على السواء، وقراءة ما أنتجته تلك الحضارات من قصص وأساطير تناولت موضوع العالم الآخر (ما بعد دنيوي) في صورته الأولية، وتحدثت عن مصير الإنسان بعد الموت، ولكي تتضح سمات هذا النوع من الأدب ومراحل تطوره ستعرج الدراسة على أشهر الأعمال الأدبية التي تناولت هذا الموضوع مثل: ملحمة جلجامش، والأوديسا لهوميروس، والإنيادة لفرجيل، ثم التطرق لأدب الرؤى الذي ظهر بعد مجيء الأديان، وليس الغرض من المرور على هذه الأعمال هو الإحصاء؛ بل الغرض منه هو بناء معرفة استقرائية تعتمد على الانتقاء والنمذجة لمحاولة الكشف عن خصائص هذا النوع من الأدب في مراحله المختلفة، وبيان مدى انعكاس ثقافة العصر فيه.

أسئلة البحث: يطرح البحث عددا من الأسئلة تمثل نقطة انطلاق لقراءة تاريخانية ثقافية تبحث في البنى المتعددة التي يتضمنها النص، وهذه الأسئلة هي: ما الأدب الأخروي؟ ومتى ظهر؟ وما المراحل التي مر بها؟ وما الخصائص التي اتسم بها في كل مرحلة؟

وما علاقة هذا النوع من الأدب بما يعرف حاليا ب(اليوتوبيا)؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تأصيل مفهوم الأدب الأخروي وتتبع جذوره الأولى، وبيان مراحل تطوره، وخصائصه في كل مرحلة، إضافة إلى كشف العلاقة التي تربط بين الأدب الأخروي واليوتوبيا.

- وتكمن **أهمية البحث** في كونه يمثل ريادة تأصيلية تضاف إلى تلك الدراسات القليلة التي تحدثت عن هذا النوع الأدبي دون أن تؤصّله.

الدراسات السابقة: دراسة منى طلبة المعنونة بـ (أدب الرحلة إلى العالم الآخر، دراسة مقارنة لرسالة الغفران، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 1997). ترى الباحثة في دراستها أن رسالة الغفران تنتمي لأدب الرحلة إلى العالم الآخر، ومن ثم كان هدفها هو مقارنتها بغيرها من النصوص ذات الصنف في مختلف الثقافات السابقة عليها، والمعاصرة لها بوجه عام، ومقارنتها بالجنة الأرضية عند القديس براندان بوجه خاص, وكما نلحظ فإن الدراسة قد تناولت موضوع أدب العالم الآخر، وهي الدراسة الوحيدة ـ فيما اطلعت عليه الباحثة ـ التي قدمت تصورًا عن هذا النوع من الأدب، وأشارت إلى بعض خصائصه وأنماطه، إلا أن ثمة اختلافًا جوهريًا بين ما افترضته الباحثة في أطروحتها، وبين ما تفترضه الورقة البحثية الحالية، فالأولى صنفت هذا النوع من الأدب ضمن أدب الرحلات، بينما الثانية تفترض أنه يصنف ضمن الأدب اليوتوبي. ومن ثَمَّ ستختلف الخصائص باختلاف بنية الشكل الأجناسي ومضمونه ومقصده.

خطة الدراسة: اقتضت مادة البحث أن يقسّم إلى مبحثين، المبحث الأول: يختص ببيان مفهوم الأدب الأخروي، ثم تتبع جذوره الأولى، وتقسيم مراحله إلى أدب العالم الآخر قبل الميلاد، وأدب العالم الآخر بعد الميلاد، وبيان خصائصه في كل مرحلة، أما المبحث الثاني فيختص ببيان مفهوم اليوتوبيا، وكشف العلاقة بين الأدب الأخروي واليوتوبيا.

المبحث الأول:

1. 1. مفهوم الأدب الأخروي:

لم يأخذ مصطلح الأدب الأخروي حقه من التنظير، فقد ظل استخدامه محصورًا بين عدد من النقاد والدارسين لهذا النوع من الأدب، ولا أدلّ على ذلك من غياب هذا المصطلح في المعاجم العربية – بحسب اطلاع الباحثة – برغم وجود عدد من النصوص الأدبية، تعود زمنيا إلى ما قبل الميلاد، وظفت موضوع العالم الآخر.

ويلاحظ عدم اتفاق النقاد والدارسين على مسمى المصطلح لهذا النوع من الأدب؛ فمنهم من أسماه بأدب القيامة[1]، ومنهم من أدرجه ضمن أدب الرحلة وخص الرحلة إلى العالم الآخر[2]، ومنهم من استخدم المصطلح المذكور في حديث عابر أو مقالة، لكن الثابت في مفهوم كل مصطلح من المصطلحات السابقة يشير إلى نوع من النصوص الأدبية تناولت عالم ما بعد الحياة الدنيا، كأساس مضموني، أو عارض، له علاقة بأحداث النص الأدبي.

(1) ينظر: حليفي, شعيب, الرحلة في الأدب العربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2002، ص15.

(2) طلبة, منى, أدب الرحلة إلى العالم الآخر، دراسة مقارنة لرسالة الغفران، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب, قسم اللغة العربية وآدابها, 1997.

والحقيقة أن مصطلح **(الأدب الأخروي)** مصطلح ملبس، واسع ومطاط، إذا ما أخذنا مفهوم الأدب بمعناه العام لا الخاص، فالأدب في اللغة له أكثر من معنى، ويطلق في أغلب الأحوال على أي نوع من المواد المطبوعة، مثل: الكتيبات والبيانات والمنشورات[3]، كما أن الأدب في اللغة يعني: "رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي، وجملة ما ينبغي لذي الصناعة أو الفن أن يتمسك به، كأدب القاضي، وأدب الكاتب ... وكل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة"[4].

إن هذه المعاني قد تحيل عند قراءة المصطلح إلى كل ما كتب في الأدب الأخروي، سواء كانت كتابة دينية أو تاريخية أو فلسفية ...إلخ، وهذا ما يتعارض مع مقصود الدراسة من مصطلح (الأدب الأخروي), فالمقصود بالأدب – في هذه الدراسة – هو ذلك النوع من الكتابة الخيالية التي تمتاز بمجموعة من الخصائص، مثل: الخرافية والابتداع والخيال واللغة[5]، وقد أوضح تودورف مفهوم الأدب من خلال توافر خاصتين أساسيتين[6]، الأولى: أن الأدب في حقيقته "محاكاة"، تختلف باختلاف المادة المستخدمة، فإذا كانت الصورة محاكاة بالرسم، فالأدب محاكاة بالكلام، وهذه المحاكاة لا تقتصر على الواقع فقط، بل قد تتجاوز إلى ما هو غير موجود، ويأتي هنا دور الخاصية الثانية للأدب، وهي أن الأدب تخيّل، ومن ثَمَّ فهو لا يخضع لمعيار الحقيقة أو الصحيح أو الخطأ.

يبدو أننا حصرنا مفهوم الأدب الآن، وأخرجنا من نطاقه ما ليس محاكاة وتخيلًا، لكن يظل المصطلح واسعا وفضفاضا؛ إذ يشمل كل أنواع الأدب من شعر وقصة ورواية ومسرح وأسطورة ...إلخ، ولمنع هذا التوسع الذي يصعب الإلمام به، فقد قيدت الدراسة مصطلح "الأدب الأخروي" بمصطلح يسبقه في العنوان، ويؤطره في دائرة محددة، هي دائرة السرد، وليس المقصود بهذا المصطلح: السرد الذي يقابل الشعر؛ بل المقصود به في هذه الدراسة، طريقة التعبير المتبعة؛ أي معنى السرد بالمفهوم الأرسطي, وهو: «أن يستخدم (الراوي) السرد في جزء، وفي جزء آخر يتقمص شخصية أخرى غير شخصيته، ثم يروي القول على لسانها كما كان يفعل هوميروس»[7]، والمعروف أن هذه الطريقة خاصة بالجنس السردي الملحمي كما حددها أرسطو.

ومع تطور الجنس السردي وتعدد أنواعه في العصر الحديث إضافة إلى غزارة الدراسات النظرية والتطبيقية في هذا المجال؛ ظهر مصطلح (سرد) للدلالة على « النشاط السردي الذي يضطلع به الراوي وهو يروي حكاية ويصوغ الخطاب الناقل لها»[8]، ووفقا لهذا التعريف يتحدد السرد بوجود عنصرين لا ينفصل أحدهما عن الآخر هما: الحكاية المروية والخطاب.

وتعرّف الأخرويات (Leschatologie) في المعاجم الفلسفية بأنها: "البحث في نهاية العالم، وفي يوم القيامة والحساب، ويشير اللفظ عمومًا إلى كل تفكير في الأخرويات، أي في نهاية العالم والبشرية،

(3) فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1988، ص11.
(4) المعجم الوسيط، مادة (أ د ب).
(5) ينظر: وليك، رينه، وآرن، أوستن، نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، 1992، ص39-40.
(6) ينظر: تودوروف، سفتيان, مفهوم الأدب، ودراسات أخرى، تر: عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2002، ص8.
(7) أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو مصرية، د.ط، د.ت، صـ72.
(8) القاضي، محمد، وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، صـ244.

ومصيرهما وآخرتهما". [9] والآخرة في اللغة: مقابل الأولى، وهي دار الحياة بعد الموت، والأخروي: المنسوب إلى الأخرى وهي مؤنث الآخر [10].

والأخرويات في المعاجم الدينية: علم يبحث في المسائل المتعلقة بنهاية العالم، ومصير الإنسان بعد الموت والبعث، أي الحياة الأخرى وما يتبع ذلك من حساب وجنة وجحيم [11].

إذًا، يتحدد مصطلح الأخروي في مفهوم عالم ما بعد الحياة الأولى، وما بعد الموت، والمصير المحتوم للإنسان الذي سيصل إليه، إما سعادة أو شقاء، ويعد هذا المصطلح مصطلحًا دينيًا فلسفيًا تم توظيف مضمونه في الأدب؛ لطرح بعض الآراء والقضايا التي تخص هذا العالم أو غيره، كما يتصورها الكاتب.

وبناء على ما سبق، يمكن تعريف الأدب الأخروي بأنه: خطاب تخيلي، يتخذ من موضوع عالم ما بعد الموت ومصير الإنسان في الحياة الأخروية من سعادة أو شقاء محتوى له؛ ويهدف هذا الخطاب إما للهروب من الواقع نحو يوتوبيا الآخرة، أو إلى تمرير وطرح بعض الأفكار والتصورات الأيديولوجية والثقافية التي قد تتفق مع أيديولوجية المجتمع أو قد تناقضها وتختلف معها.

والأدب الأخروي –كما أشرنا– لم يلقَ حظه من التنظير والتأصيل، فغياب المصطلح من المعاجم الأدبية والنقدية له أسباب، قد يعود ذلك إما لجدّته كمصطلح، أو لعدم اكتمال الصورة لسمات وخصائص هذا النوع من الأدب، وقد يكون ثمة سبب آخر وراء هذا الغياب، يكمن في ندرة وقلة النماذج العربية التي تدل على حضور هذا النوع من الأدب في المدونة العربية مقارنة بالأنواع الأدبية الأخرى.

ومع ما ذكر، فإننا لا نعدم وجود بعض الإشارات في دراسات النقاد تتحدث عن هذا النوع؛ فنجد شعيب حليفي يعرّفه بأنه: "تخيّل وقائع يوم القيامة وتصوير ما يحدث في الجنة والجحيم بأسلوب ترهيبي وترغيبي" [12]، وهذا التعريف يكشف الخلفية الإبستمولوجية لفئة من الكُتَّاب يتخذون هذا الموضوع وسيلة لغاية دينية، وهذه الفئة هي فئة الفقهاء، وغالبًا ما تحكم هذه الفئة "نوازع دينية محضة، مشدودة إلى فكر إصلاحي، يبغي تقويم الناس وهدايتهم عن طريق ترهيبهم بتصوير يوم الآخرة"[13]، بينما هناك فئة أخرى، وظفت هذا الموضوع لغاية أخرى؛ فبنت عالمًا أخرويًا متخيلا يجنح إلى صوغ "أفكار وتأملات معينة تتماس مع المثالية والعديد من المقولات والتصورات الصوفية والفلسفية والدينية التي ترسم رحلة النفس في بحثها عن عالم آخر، يكون بديلاً عن الواقع"[14], وهذه هي فئة الأدباء والفلاسفة.

ويدرج حليفي هذا النوع من الأدب ضمن أدب الرحلة، إلا أن الباحثة ترى أن أدب الرحلة يختلف عن الأدب الأخروي في كون الثاني عالمًا وجوديًا أبديًا لا عودة بعده إلى المكان الأول، وغايته هي بناء تصور لعالم مثالي يبني فيه ما يفتقده في عالم الواقع، ومن ثَمَّ هو نقد مضمر له، بينما خطاب الرحلة يتطلب ذهابا

(9) سعد، جلال الدين، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص45.
(10) ينظر: المعجم الوسيط، , مادة (أ خ ر).
(11) ينظر: الفيشاوي، سعد، المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، الهيئة المصرية العامة للكتاب, 2007, ص207, وينظر: الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي القاهرة، ط3, 2000,ص30.
(12) الرحلة في الأدب العربي، ص15.
(13) نفسه، ص15.
(14) نفسه، ص146.

وعودة، بهدف التعرف على العوالم الأخرى، واكتشاف ثقافة الآخر، ونقل أخباره إلى الموطن الأصل.

وتمتد جذور الأدب الأخروي إلى مرحلة ما قبل الميلاد، ففكرة الموت والاعتقاد بوجود حياة أخرى فكرة كان لها حضورها الخاص في الآداب العالمية، وفي تراث الحضارات القديمة في الشرق والغرب على السواء، كون الحديث عنها أو الكتابة فيها كتابة عن "فكرة إنسانية كونية حالها حال الحب والتضحية، لم ينأ عنها أدب أمة من الأمم"[15], وسنعرج في المطلب الآتي إلى بيان تجليات موضوع العالم الآخر، وكيف كان توظيفه في الأدب عبر التاريخ؟ بهدف استكشاف خصائص هذا النوع الأدبي، ومعرفة سماته الأولى.

1. 2. العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد:

سجلت ثيمة العالم الآخر حضورًا مؤرقًا في أدب الحضارات القديمة، على اعتبار أن الحديث عنها هو حديث عن الغامض والمجهول، ومن ثَمَّ لم يكن حضورها في أدبهم حضورًا متعويًا، بل كان حضورها حضورًا وجوديًا أولًا، لعدم استيعابهم فكرة الفناء الأبدي، فحاول الأدباء أن يعكسوا تصوراتهم الخاصة حول ماهية هذا العالم وحقيقته، ومن خلال ما سنطرح من آراء حول بعض الأعمال التي تناولت هذه الثيمة، سيتبين أن ثيمة العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد كانت حاضرة لذاتها وفي ذاتها أولًا، قبل أن يتحول حضورها إلى حضور رمزي مع زيادة وعي الإنسان، بناء على معتقداته التي عكستها ثقافة العصر.

أ . العالم الآخر في ملحمة جلجامش:

تعد ملحمة جلجامش من الملاحم الأدبية الأُول التي أرقتها فكرة الموت والبحث عن حياة الخلود في الدنيا، هربًا من الحياة الأخرى المرعبة كما كانوا يتصورونها عن العالم السفلي/عالم الحياة الأخرى بعد الموت.

وقد صورت لنا الملحمة وبعض الأساطير القديمة أحوال الموتى في ذلك العالم[16]، وهذه الأحوال في الأساطير لا تختلف كثيرًا عما جاء في الملحمة، فقد وصفت الأخيرة العالم السفلي بأنه دار ظلمة لا يرجع منه من دخله، ويحرّم على ساكنيه النور، طعامهم التراب والطين، لا ميزة في هذه الدار بين الحكام والملوك وغيرهم[17]، إنه عالم مرعب، حاول الإنسان البابلي البحث عن طريقة تحميه من الوصول إلى هذا العالم الديستوبي*، وبرغم بحثه وخوضه الصعاب لملاقاة "أتونبشتم" الإله الخالد في ديلمون/الجنة الأرضية؛ ليمنحه طريقة يضمن بها الخلود، فإن مغامرته تبوء بالفشل، وتنتهي بالتيقن أن الخلود لا يتحقق إلا للآلهة، وأن الموت هو نصيب البشر وقدرهم.

والملاحظ في العالم الأسفل عند جلجامش أنه ليس ثمة فردوس، ولا مطهر، إنه عالم نهائي تتساوى فيه أرواح الموتى، ويحكم هذا العالم آلهة يقررون مصير أرواح الموتى، إذا ما تم مخالفة أوامرهم ونظام عالمهم.

لم يكن تصوير الإنسان البابلي لهذا العالم بهذه الطريقة عبثًا، بل كان تصويره أشبه بالبحث عن مسألة وجودية شغلت فكره وأضنته؛ لذا نجد جلجامش يستعمل هذه الثيمة؛ ليقرر في نهايتها مجموعة من

(15) السعيدي، عبد الكريم خضير، الرحلة الخيالية إلى العالم الآخر، معادلا موضوعيا، مجلة الآداب، ع117، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2016، ص242.

(16) ينظر: السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، سورية وبلاد الرافدين، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط11، 1996، ص273 (سفر العالم الأسفل).

(17) ينظر: باقر، طه، ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة، ص70.

(*) يقصد بالديستوبيا المدينة الفاسدة التي لا يمكن العيش فيها وهي مقابل لليوتوبيا.

التصورات التي توصل إليها، فكان أهمها أن فكرة الخلود تتحقق بالذرية والعمل الصالح والحكمة، ويظهر ذلك من خلال تصوير حالة الميت الذي له ولد، وحالة ميت آخر له ثلاثة أو أربعة أو خمسة أولاد[18]، كما أنه كان يشير في تصويره لهذا العالم إلى بعض العقائد الدينية السائدة في عصره، كقضية دفن الأموات، وتقديم القرابين، وفناء الجسد، وحياة الروح وغيرها، مما كان يعكس طبيعة الشعائر المقدسة والممارسات العقدية في حياة مجتمعه وعصره.

ب . العالم الآخر في ملحمة الأوديسة:

هي ملحمة يونانية تنسب للشاعر ***هوميروس،*** يحكي فيها الشاعر رحلة البطل "أوديسيوس" أثناء عودته إلى وطنه بعد حرب طروادة، وقد استمرت هذه الرحلة عشرة أعوام، لاقى فيها البطل من الأهوال الشيء الكثير، وما يهمنا في هذه الرحلة هو رحلة "أوديسيوس" إلى العالم الآخر "عالم ما بعد الحياة" وكيف صورت الملحمة هذا العالم.

يقع هذا العالم على تخوم البحر الأعظم، حيث توجد مدينة لا تنفذ إليها شعاعه من نور، ويغطيها سحاب مظلم، إنها مدينة تعيش في ليل دائم، يسكن في عالمها الأسفل "تحت الأرض" أرواح الموتى، شرابهم الدم، وكينونتهم مجرد أشباح لا يستطيع أوديسيوس ملامستهم.

يحكم هذا العالم إله هو بلوتو وزوجته برسيفونة، يصور هوميروس هذا العالم ويكشف عن بعض العقائد الدينية التي ساءت في عصره؛ فحديثه عن صديقه "ألينور" يبين ضرورة إقامة مراسم الدفن للمتوفى، حتى تهدأ روح الميت في عالم الظلمات [19]،

كما أن أرواح الموتى لا تغفل عن حياة الأحياء؛ فهي عالمة بأحوالهم، كما أن الأقدار المستقبلية مكشوفة لها، وبذلك تستطيع أن تتنبأ بمستقبل الأحياء ومصيرهم في الدنيا.

إن حال أرواح الموتى في مملكة "***هيدز***" بائس؛ فهم يبكون أنفسهم، ويعكسون المصير ذاته الذي عاشوه في الدار الأولى، وها هو البطل ***أخيل*** الآمر الناهي في الدار الأولى، يأمر وينهى في مملكة الموتى، ورغم هذه المكانة؛ فإنه يؤثر أن يعيش في الدنيا كأحقر الأجراء الأذلاء، ويبتلع بلقمات قليلات لا تقيم أود الشيخ الفاني، على أن يقيم هنا مملكا في جميع هذه الأشباح والتهاويل [20].

لقد عبرت كلمات أخيل عن تمسك الإنسان الإغريقي بأدنى مقومات الحياة مقابل ألا يسكن مملكة هيدز المظلمة الخالية من النور والحياة، إنها مملكة جامدة تعيش فيها الأرواح حياة بؤس، لا يسعد هذه الأرواح إلا ما تركته من أبناء، لهم شأو في الحياة، وفي هذا تأكيد على فكرة التخليد التي رأيناها في ملحمة جلجامش، تخليد بالذرية والبطولة والحكمة.

والملاحظ أن الملحمة تبين أن داخل مملكة هيدز مكانًا يسمى شعاف الأولمب[21]، وهو مكان خاص بمن منحوا بركة الآلهة وخلودها، ويتم فيه إحضار الولائم لهم، ورغم هيئتهم وما يرتدونه من ثياب وأحزمه مذهبة؛ فإنهم عابسون كئيبون في مملكة الظلمات، يشكون حالهم لأوديسيوس.

وفي العالم السفلي يوضح هوميروس موقفه من المرأة؛ فهي سبب البلاء وحدوث الشرور، يظهر ذلك في حديثه مع شبح أجاممنون "ياسماء! ما أقسى ما

(18) ينظر: نفسه، ص108.
(19) ينظر: هوميروس، الأوديسة، تر: دريني خشبة، دار التنوير، بيروت، ط1، 2013، ص122.
(20) ينظر: الأوديسة، ص131.
(21) ينظر: نفسه، ص134.
(2) نفسه، ص 130.

قضت يد زيوس على بيت أتريوس منذ البدء! كله من الأنثى دائمًا! لقد قتلنا في غير رحمة ولا رفق من أجل "هيلين"؛ وتدبر لك "كليتمنستر" تلك الفعلة، بينما أنت نازح بعيد عن ديارك"[22]، إنه يشير إلى أن هيلين كانت السبب في حرب طروادة، وزوجة أجاممنون سبب في قتل زوجها بالتآمر ضده مع عشيقها، ويعمم هذه الفكرة من أجل الحذر من كل النساء؛ فسمتهن دومًا الغدر والخيانة!

لم يكن العالم الآخر في الأوديسة واضح المعالم؛ إذ لم تظهر فيه تقسيمات واضحة للعالم السفلي، ولم تكشف لنا طريقة الحياة للأشباح في هذا العالم، بل كانوا أشباحا هائمة متوافدة لرشفة جرعة من قرابين الدم التي ذبحها أوديسيوس، فإذا ما رشفت، وأنهت حديثها مع أوديسيوس غاصت ثانية في الظلمات التي أتت منها.

ويمكن أن نلخص أهم ما كشفه هذا العالم، أن ثمة عالمًا آخر، تواصل روح الإنسان حياتها فيه بعد موته، وأن هذا العالم أسوأ من الدار الأولى، وانعكاس شاحب باهت لها، وما هذا الانعكاس إلا كشف عن القلق الوجودي الذي ملأ الإنسان القديم تجاه مصيره الأبدي، ورفضه فكرة فناء الروح.

ج . العالم الآخر في ملحمة الإنيادة:

دأبت الرومان على محاكاة الأدب اليوناني بعد الانتصار الذي حققته عسكريًا، رغبة منهم في نهضة أدبهم اللاتيني؛ فقد دعا هوراس الشاعر اللاتيني في كتابه (فن الشعر) إلى محاكاة أدبهم ودراستها، ورأى أن المحاكاة تكون للأعمال العظيمة، إذ يقول: "اتبعوا أمثلة الإغريق، واعكفوا على دراستها ليلًا، واعكفوا على دراستها نهاراً"، [23] ونتج عن هذه الدعوة للمحاكاة ظهور ملحمة الإنياذة للشاعر الروماني فرجيل في القرن الأول ق.م.

تتحدث الملحمة عن مغامرات البطل الطروادي "آينياس" بعد هزيمة مدينة طروادة، وهروبه مع جماعة من زملائه، تحدُوهم رغبة وتنبؤ إلهيّ بإنشاء وطن جديد في إيطاليا.

قُسِّمت الملحمة إلى اثني عشر كتابا، تحكي الكتب الستة الأولى مغامرات البطل بعد حرب طروادة، وما لاقاه من مشقة وعناء بعد الهزيمة، ثم تأتي الكتب الستة الأخرى لتحكي مغامراته حول تأسيس إمبراطورية رومانية، ونشر السلام في شبه الجزيرة الإيطالية. وما يهمنا من هذه الكتب الاثني عشر هو الكتاب السادس الذي سجل فيه رحلته إلى العالم الآخر، وتوظيف هذا العالم في كشف بعض المعتقدات والقضايا الاجتماعية السائدة في ذلك العصر، وعلاقة كل ذلك بالواقع زمن إنتاج النص.

يمثل الكتاب السادس من ملحمة الإنيادة محطة عبور أشبه بقنطار ينتقل فيه البطل من مرحلة الهزيمة إلى مرحلة الانتصار، ومن مرحلة التيه وفقدان الوطن إلى مرحلة القرار وتأسيس وطن.

لم يحضر العالم الآخر في الملحمة كترف فني، بل كان حضوره موظفًا؛ لكشف تصورات ومعتقدات الإنسان الروماني حول مسألة الموت والبعث والحياة الأخرى. وفي الملاحم الثلاثة السابقة نجد أن الغرض من زيارة العالم الآخر تمحور حول فكرة كشف

(23) هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2008، ص24.

المصير، والرغبة في معرفة القادم والتكهن بالمستقبل، ويتم تحديد هذا المصير والتنبؤ بالقادم، وهذا المصير له علاقة بالمصير بعد الموت لأن عالم ***هاديس*** ما هو إلا انعكاس روحي "شبحي" لعالم الأحياء مع بؤسه وظلاميته.

يتجسد العالم الآخر عند فرجيل في صورة عالم سفلي تحيطه ظلمة وغابات كثيفة، لا يقترب منها طير، ويوجد كهف عميق ذو فوهة واسعة كئيبة [24] خلف بحيرة مظلمة، يخرج من فوهته زفير سام، وحتى يتم السماح لأينياس بالدخول لهذا العالم مع الكاهنة "سيبولا"؛ فلا بد من تقديم القرابين والنبيذ والذبائح لملكة هذا العالم، وهذا ما تم حتى اندفعا بجنون إلى داخل الكهف.

إن تفاصيل هذا العالم وموجوداته لا تختلف عن موجودات العالم الدنيا، ففيه حراس، غير أن حراسه من الشخصيات الأسطورية ذوات الهيئة المرعبة التي تجمع بين صورة إنسان وحيوان أو إنسان ومكون من مكونات الطبيعة، كما توجد أنهار إلا أن أنهار العالم الآخر أنهار مستنقعية تحول بين الموتى الذين أقيمت لهم مراسم الدفن، والموتى الذين لم يدفنوا، يحرسها معداوي يسمى "خارون"، مهمته القيام بنقل الموتى الذين وصلوا فوق قاربه للعبور، ودفع الموتى الآخرين الذين لم يدفنوا حتى لا يعبروا.

يلي هذا النهر تربة هلامية مليئة بالحلفاء الداكنة، يحرس هذا المكان كلب ذو حنجرة ثلاثية، رابض في كهفه المقابل، في هذا الكهف نجد أرواح الأطفال والذين أعدموا بتهمة كاذبة، والبائسين الذين يئسوا من حياتهم؛ فأزهقوا أرواحهم بأيديهم. يلي هذا الكهف بمسافة غير بعيدة مكان يطلق عليه "السهول الباكية"، وهو مكان خاص بأولئك الذين قضى عليهم حب قاس مدمر؛ فعذابهم ما زال مستمرا حتى بعد الموت، ويلي تلك السهول السهول النائبة، وهي مكان خاص بذوي الشهرة العسكرية وأبطال الحروب.

بعد هذه السهول يوجد طريقان: طريق اليمين ويوصل إلى "إلسيوم" جنة الفردوس أو مقر المباركين والسعداء، وطريق الشمال ويوصل إلى "تارتاروس" الجحيم وعقاب الأشرار بعذاب النار، وهذا الأخير عبارة عن مدينة شاسعة "تحوطها أسوار ثلاثة شاهقة، ويطوقها فليجيثون التارتاري – ذلك النهر السريع الذي يدور بأمواجه الثائرة، ويدحرج صخوره المزمجرة – عليها بوابة عالية، ذات أعمدة صخرية شديدة الصلابة"[25]، ويحرّم على الأقدام الطاهرة أن تطأ هذه البقعة. وسكان هذه المدينة هم أصحاب الخطايا الآثمة التي ارتكبها أصحابها في حق الإله أو في حق أنفسهم.

أما طريق اليمين؛ فيبدأ بطريق مظلم إلى أن يصلا إلى السهول السعيدة جنة المباركين، فيها الخضرة والشمس المباركة والنعيم المقيم لساكنيها، وفيها الغناء والرقص والخيول والموائد الطيبة، سكانها هم الشهداء والكهنة الطاهرون والشعراء المثقفون والذين خُلِّدوا بأعمالهم الطيبة في السهول السعيدة، كما يوجد نهر يسمى نهر "الليثي"، هذا النهر من يغترف منه يقدّر له أن يلبس جسدا جديدا بعد أن يغرق الإنسان في نسيان كامل، ويتطهر وتدور به عجلة الزمن ألف عام.

(24) فرجيليوس, الإنيادة، تر: كمال ممدوح وآخرون, المركز القومي للترجمة, ط2, 2011, ص286.

(25) ينظر: الإنيادة، ص300.

تتحدد جغرافية العالم الآخر في "الإنيادة" بصورة أكثر تفصيلا عما هو موجود في ملحمة جلجامش والأوديسة، إذ نجد في الأولى أن مملكة "هاديس" تضم مدنا كثيرة، تقع في المناطق السرية تحت الأرض، ولهذه المملكة حراس وملوك وقضاة يديرون شؤون أرواح الموتى، ويوزعون هذه الأرواح على المدن بحسب أعمالهم في الدنيا، ويوجد في هذا العالم أنهار متنوعة، جلّها باعث على الفزع والخوف عدا نهر الليثي الواقع في مدينة "الإلسيوم"، وهو نهر خاص بالطاهرين المتطهرين.

أما عن حياتهم في هذا العالم فهي حياة عدمية، تخيم عليها الوحشة والصمت والبكاء والعويل والعذابات الأبدية، عدا سكان مدينة المباركين "الألسيوم"؛ فهم يحيون حياة سعيدة، وإن كانوا مجرد أشباح. ومما تم عرضه عن العالم الآخر /العالم السفلي في الأعمال السابقة نستطيع أن ندون بعض الملاحظات حول سمات أدب العالم الآخر قبل الميلاد:

1- يتحدد العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد بكونه عالما سفليا، فضاؤه وجغرافيته موجودة تحت الأرض، وهذا الاعتقاد ينبني أساسا على فكرة أن الأرض هي منبع الحياة، منها يحيون وإليها يرجعون، وهذا ما قاله ***إنخيسس*** لابنه ***آينياس:*** "قبل كل شيء فإن حياة ذاتية تغذي السماء والأرض والبحار والقمر والشمس، وإن روحا قد امتزجت بأوصالها جميعا، تحكم كل أجزائها، وفيها نشأت سلالة الإنسان والحيوان والطير ... التي تنمو تحت سطح البحر المتألق"[26]؛ فالأرض هي المركز التي تدور حولها ثنائية الحياة والموت.

2- يقدّم العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد إجابات شافية للتساؤل الوجودي الذي شغل عقلية الإنسان الأول عن مصيره بعد الموت، ورغم أن هذه الإجابات التي قدمها لا تزال ضبابية؛ فإنه يحاول إقناع نفسه بها؛ ليسكن خوفه من المجهول المرتقب بعد الموت؛ لذا نجد أن السعادة تتحدد في هذا العالم من خلال الأعمال الخيّرة في الدنيا، وتقديم الخدمات الإنسانية والحياتية، وزيادة النسل الذي يحفظ ذكر الميت بعد أن يصير إلى العالم السفلي.

3- صورة العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد صورة ديستوبية، إنه عالم غير صالح للحياة، عالم بائس جامد مرعب؛ لذا لا نجد من يطمح أن يذهب إليه للعيش فيه، بل إن من ينزل إليه يود أن يعود للحياة الدنيا مرة أخرى، حتى إن كان يحظى بمكانة مرموقة في مملكة هاديس. يتضح هذا من رد أخيل لأوديسيوس عندما غبطه على مكانته في العالم السفلي؛ فقال أخيل له: "لقد كنت أؤثر أن أعيش في الدنيا كأحقر الأجراء الأذلاء، وأتبلغ بلقمات قليلات، لا تقيم أود الشيخ الفاني، على أن أقيم هنا مملكا في جميع هذه الأشباح والتهاويل"[27].

4- يجسد العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد خلاصة تصور أو معتقد المرحلة أو

(26) الإنيادة، ص306.

(27) الأوديسة، ص131.

العصر الذي تم إنتاج العمل فيه، فجلجامش يلخص فكرته عن مسألة الخلود من خلال النهاية الأليمة التي حدثت له بعد أن حصل على عشبة الخلود، وسرقة الحية للعشبة؛ فالخلود هو عطاؤك في الحياة وذريتك وأعمالك الصالحة، أما أوديسيوس فإننا نجده يصور خلاصة فكرة انفصال الروح عن الجسد، ومسألة فناء المادة الجسد وبقاء الروح من خلال حديثه مع روح أمه وشيخه والأبطال الذين قابلهم في هذا العالم الكئيب، وقد لخصت أم أوديسيوس هذه المسألة بقولها: "ولكنها طبيعة الموتى هنا فهم لا عضل ولا لحم ولا عظم، ولا ما ذهبت به النار بعد الموت في الدار الأولى، بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام في خفتها وسرعتها.. ولكن هلم فعد أدراجك إلى النور، فلقد جاءك من الحق ما هو حسبك"[28].

5- الرحلة إلى العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد هي رحلة استكشافية من قبل الأحياء عبر وسيط كاهن/ عرَّافة يتوسط له بالدخول بعد تقديم النبيذ والقرابين، والملاحظ أن القائم بالرحلة لا يبحث عن مصيره بعد الموت، ولا يهتم لذلك، بل يستكشف عن مصيره في المستقبل في الحياة الدنيا، وفي هذا تأكيد على أهمية التمسك بالحياة، غير آبه لما قد يحل عليه بعد الموت من مصير، كما أنها إشارة إلى عدمية العالم الآخر في معتقد الإنسان الأول، وأن كل ما فيه ما هو إلا انعكاس مشوش للحياة الحقيقية في الحياة الدنيا.

6- لا يوجد في العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد ذكر لعالم السماء، وإذا ما ورد مصطلح عالم السماء أو العالم العلوي؛ فإنما يقصد به عالم الأحياء فوق الأرض كمقابل لعالمهم السفلي القابع تحت الأرض، وهذا ما جعل الصورة العامة لأدب العالم الآخر لما قبل الميلاد صورة ديستوبية موحشة، ذلك أن أيقونة المكان أيقونة مفزعة، تبعث على الخوف والرعب، إضافة إلى الوصف العام الذي لخص طبيعة الحياة في هذا العالم المظلم المسكون بالأرواح الشاحبة فقط.

7- وصف فرجيل للعالم الآخر إنما هو وصف تأسيسي، وضع من خلاله أساسيات بناء إمبراطورية روما، ومن ثَمَّ كان تقسيم المدن وتوزيع السكان فيه بناء على اتباع أرواح الموتى وخضوعهم للقضايا الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، وبهذا يعد فرجيل أول من حاول توظيف ثيمة الأدب الأخروي رمزًا يؤسس، من خلال طرحه، نظام دولة وبناء إمبراطورية؛ لهذا نجده قسّم العالم السفلي إلى السهول السعيدة ووصف نعيمهم الذي يفوق نعيم الدنيا، وهذه السهول خاصة بالمثقفين والشعراء والمباركين الذين قدموا خدمتهم الخيّرة للحياة وللآلهة، وهؤلاء هم من احترموا نظام الدولة، وفي المقابل هناك

(28) نفسه، ص125-126.

مدينة تارتوس، وهي جحيم المذنبين الذين ارتكبوا أخطاء في حق الآلهة (والآلهة هنا يقصد بها الحكام)، أو غلبت عليهم شهوة الدنيا ومتاعها، ومن خلال عقابهم تتحدد القوانين المبتغى تأسيسها للدولة المثالية.

1 . 3 . أدب العالم الآخر بعد الميلاد:

قبل البدء في هذا المبحث، لا بدَّ من الإشارة إلى أن ثمة فرقا بين ما نقصده هنا تحت مسمى "أدب أخروي" وما ورد في الأديان السماوية من "تصور للعالم الأخروي"، وما يهم بحثنا هنا هو المسمى الأول بالمفهوم الذي وضحناه في بداية المبحث، ذلك أن التصور الأخروي كما جاء في الأديان السماوية، لم يأت في سياق محاكاتي تخييلي على سبيل المتعة الأدبية، بل جاء في سياق إلهي مقدّس على سبيل الحقيقية الحتمية لحياة الإنسان بعد الممات، ومع وجود هذا الفارق الجوهري؛ فإننا لن نغفل الرجوع لهذا التصور أو ذاك بوصفه المرجعية الأساس للكاتب في صياغة أعمال الأدب الأخروي بعد الميلاد؛ فمسألة العالم السماوي، وثنائية الفردوس والجحيم فيها، برزت بصورة أوضح مع الدين المسيحي والإسلامي، ومن ثم جاء توظيفهما في الأدب وفقا لتلك التصورات الدينية التي تحدثت عن عالم ما بعد الحياة ومصير الإنسان النهائي.

لم تكن صورة العالم الآخر واضحة في العهد القديم؛ ففي الأسفار الخمسة التي تنسب لموسى عليه السلام حديث عن الجزاء الذي يترتب على عمل بني إسرائيل، وهذا الجزاء يتمثل في وراثة الأرض بناءً على العهد الذي بين الله وبني إسرائيل، والجنة هي تمليكهم الأرض، والنار هي الفناء التام، فهذا حديث الرب لهم: "احفظوا جميع شرائعي وأحكامي، واعملوا بها لئلا تعطلكم الأرض الذي أدخلكم إليها لتسكنوها، لا تسيروا بسنن الأمم الذين أهلكت من أيديكم؛ لأنهم ارتكبوا هذه البلايا كلها، وأبغضتهم، وقلت لكم إنكم ترثون أرضهم، لأني أدفعها إليكم فترثوها، الأرض التي تغل لكم اللبن والعسل"[29].

وفي أسفار الأنبياء لا تختلف الصورة للعالم الآخر عما جاءت في الأسفار الخمسة، بل نجد فيها ما يؤكد أن الجنة تتمثل في هذه الأرض، فبعد أن يحاكمهم الرب؛ فإنه يقر للناجين من إسرائيل هذه الأرض (صهيون . أورشليم)، ويسمى فيها قدوساً [30]. كما أن حديث البعث في سفر حزقيال يؤكد ما ورد –أيضًا– في الفقرة السابقة، "هكذا قال السيد الرب: هأنذا أفتح قبوركم، وأصعدكم من قبوركم يا شعبي، وآتي بكم إلى أرض إسرائيل"[31].

ثمة ملاحظة لا بدّ من الإشارة إليها، وهي أن فكرة الجنة الأرضية كانت حاضرة في الملاحم اليونانية، وتم التأكيد عليها في الأوديسة والإنيادة، كما هي حاضرة أيضاً في الملحمة البابلية ملحمة جلجامش، لكن تظل ملحمة الإنيادة لفرجيل مثيرة للتساؤل، إذا عرفنا أن الملحمة في أحداثها تقارب في أوجه كثيرة ما ورد في العهد القديم من أحداث لإسرائيل، فمرحلة التيه في الأرض بعد حرب طروادة تشابه مرحلة التيه لإسرائيل، وسعي آينياس والتزامه بنبوءات الآلهة من أجل تكوين إمبراطورية روما تشبه سعي إسرائيل والتزامهم بتعاليم الرب من أجل تحقيق التمكين في الأرض والسيطرة على مدينة أورشليم، فهل من علاقة

(29) زكار، سهيل, التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، دار قتيبة، ط1، 2007، ص321.

(30) ينظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر أشعياء (3).

(31) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حزقيال (37).

بين إنيادة فرجيل وكتاب العهد القديم؟ مع العلم أن تاريخ تدوين إنيادة فرجيل كان في القرن الأول قبل الميلاد، بينما دونت التوراة في القرن الثالث قبل الميلاد.

ثمة مرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة الانتقال أو مرحلة العبور، وهي مرحلة تختص بفترة الانتقال من تاريخ ما قبل الميلاد، إلى تاريخ ما بعد الميلاد، وفي هذه المرحلة ظهر سفر أخنوخ، وهو سفر يتعلق بالعالم الأخروي، لكن بصورة مغايرة عما رأيناه في الأسفار السابقة، كما أنه سفر ينبني على الرؤيا، وهذا ما يقربه بصورة أوضح من الأدب الأخروي بالمفهوم الذي حددته الدراسة، كما أن رفض طوائف اليهودية والمسيحية ضمه إلى الكتاب المقدس يجعلنا نؤكد مسألة إدراجه ضمن هذا النوع من الأدب؛ فهم يرونه ضمن الأسفار المنحولة التي انتحلت صفة الإلهام[32]، وحاولت أن تثبت القداسة الإلهية فيما ورد فيها بوصفه وحيًا، وهو ليس كذلك، هذا الرفض وعدم إدراج هذا السفر ضمن الكتاب المقدس يجّوز للقارئ الناقد إدراجه ضمن القصص السردي للأدب الأخروي.

اتخذ سفر أخنوخ وبعض الأسفار المنحولة من الرؤيا وسيلة توصلهم للعالم الغيبي، وهذه الأسفار الرؤيوية "غايتها كانت في الأساس تشجيع اليهود على الثبات عبر إظهار الاضطهاد كمرحلة أخيرة من مراحل التاريخ الذي يقوده الله، وبمثابة فترة مؤقتة لا بد منها قبل التدخل الإلهي لتحقيق ملكوت نهائي على الأرض كلها، وذلك تحت سلطان الأتقياء من اليهود"[33] . من هنا كانت ولادة الأدب الأخروي بمفهومه السماوي المتعالي المنبثق من المعاناة الإنسانية المعاشة في الواقع الأرضي الظالم على اعتبار أن هذا النوع من السرد الرؤيوي للعالم الأخروي يمثل صورة من صور الرجاء والأمل الذي قد يسهم في تغيير العالم، وإعادة هيكلة قيمه الأخلاقية والاجتماعية والسياسية.

والرؤيا هي "انطباع الصورة المنحدرة من أفق المخيلة إلى الحس المشترك"[34], وهي "خيال باطل عند جمهور المتكلمين ...؛ فلا تكون الرؤيا إدراكا حقيقيا، بل من قبيل الخيال الباطل وتحتاج إلى التأويل، وذلك يحتاج بدوره إلى معرفة أحوال الرائي النفسية والاجتماعية"[35]، وهذا ما يجعل النظر للرؤى السردية في الأدب الأخروي التي وجدت في أسفار العهد القديم (القانونية منها أو المنحولة) نظرة مؤطرة بقراءة تأويلية تبحث في الظرف التاريخي والاجتماعي والسياسي والنفسي، وعند التعمق في قراءة هذا الظرف؛ سيتضح للقارئ أن سردية الأدب الأخروي في كتب الرؤى ما هي إلا انعكاس لما هو موجود في الواقع مع إضفاء صورة لنوعية الجزاءات والعقوبات كوسيلة لممارسة عملية الترهيب والترغيب، ومن ثَمَّ؛ فإنها محاولة لرسم عالم أفضل لن يتحقق في الآخرة إلا إذا تحقق النظام المطلوب في الواقع.

تعدُّ رؤيا أخنوخ فاتحة لنوع من السرد الرؤيوي للعالم الآخر، حيث الصعود إلى ملكوت السماوات، ووصف ذلك العالم بسماواته المتعددة، وتصنيف الناس فيها بحسب أعمالهم؛ فمنهم السعيد الذي وصل إلى شجرة الحياة، ومنهم الشقي الذي غمس في العذابات، وما جاء في العهد الجديد وأسفاره المنحولة ما هو إلا تتمة

(32) الفغالي، الخوري بولس، على هامش الكتاب 3 أخنوخ سابع الآباء، الرابطة الكتابية، لبنان، ط1، 1999، ص258.

(33) الفغالي، الخوري بولس، سفر الرؤيا بين الأمس واليوم، الرابطة الكتابية/ ضمن دراسات بيبلية 15، 1997، ص356.

(34) الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص386.

(35) نفسه، ص386.

للصورة التي عرضتها كتب التوراة/ العهد القديم مع قليل من المغايرة والعالمية في الجزاء والحساب بعد أن كان الجزاء محصورا على إسرائيل.

ففي رؤيا يوحنا المذكورة في العهد الجديد وصفٌ رمزي للعالم الآخر أشبه بالأساطير اليونانية، لقد وصفَ عالمًا سماويًا يتجلى فيه الإله وابنه المسيح، إلا أنه يحدد أن العالم الآخر عالمٌ أرضي، وأن المدينة المقدسة ستهبط من السماء، وسيعيش الله مع سكان الأرض، "ثم رأيت سماءً جديدة وأرضًا جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد في ما بعد. وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة للعروس المزينة لرجلها، وسمعت صوتًا عظيمًا من السماء قائلًا: "هو ذا مسكن الله مع الناس؛ وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعبًا"[36]، أما غير المؤمنين فجزاؤهم بحيرة متقدة بنار وكبريت، وهو الموت الثاني الأبدي.

لم تختلف صورة العالم الآخر في الإنجيل عما هي في التوراة في كونها تتمثل في مدينة أرضية، فيها من النعيم والخيرات ما تشتهيه الأنفس، والفارق يكمن في أن المدينة المقدسة في الإنجيل ستكون للمؤمنين جميعًا بمختلف أجناسهم وأطيافهم دون تخصيص إسرائيل، ودون أن يكون ثمة عنصرية كما تراها في العهد القديم.

وقد سعت رؤيا يوحنا إلى بث روح التقوى والورع الديني والجهاد ضد الشر المستشري في الواقع من خلال العمل بكلام الله، ووحي يسوع الذي نزل على يوحنا.

ومع بداية القرن الأول الميلادي، كثرت المؤلفات الجليانية/ الكشفية التي تتحدث عن نهاية العالم ومملكة العالم الآخر، وهي وإن كانت تتلمس المسحة الإلهية في هذا الكشف من خلال نسبها إلى أشخاص صالحين إلا أن الطابع السردي التخييلي الرمزي الغالب فيها يجعلها أقرب إلى الأدب السردي القصصي، كرؤيا عزرا لنهاية العالم، ورؤيا سدراك، ورؤيا بطرس، ورؤيا بولس[37]، وهذه الرؤى عدت من الطوائف المسيحية واليهودية رؤى منحولة، ولم يضم منها إلى العهد الجديد سوى رؤيا يوحنا فقط.

إن هذا الاتجاه الرؤيوي نحو موضوع العالم الأخروي في فترة ما بعد الميلاد يعكس التصور الجديد لفكرة الموت والبعث والمصير الأخروي للإنسان، وهو لا يركز على هذا المصير إلا بقدر تركيزه على ما ينبغي أن يتبع من نظام حياتي وديني في الواقع، إنه أسلوب أدبي جديد في تلك الفترة، تم توظيفه لغرض إقناع أهل الأرض بالرسالة التي يحملونها، وطرح نظام حياتي شامل ينبغي السير عليه تحت مبرر: ليحظى الإنسان برضا الرب، ويطعمه من شجرة الحياة الأبدية.

لقد كانت ثيمة العالم الأخروي وسيلة ناجحة في زمنها، لذا كثرت الرؤى وتقديم صور كشفية لعالم السماء، فيها من المغريات ما يحفز الإنسان على الصبر والأمل، وتبني سلوك القديسين، وترك الدنيا ومباهجها، واتباع رجال الدين، وفي المقابل فيها ما يرعب ويرهب الرافضين المتمردين من خلال تقديم أبشع صور العذابات كما أوردها بولس في حديثه عن رؤية الجحيم[38]. وقد تم توظيف أيقونة العالم الأخروي في هذه

(36) الكتاب المقدس، العهد الجديد، رؤيا يوحنا، الفصل الحادي والعشرون،1-4.

(37) تم جمع هذه الرؤى في كتاب: الرؤى المنحولة، تر: إسكندر شديد، دير سيدة النصر نسبيه- غوسطا، 1999.

(38) ينظر: نفسه، ص222.

الفترة لهدف آخر، هو تأسيس وإرساء وتثبيت الدور الذي يلعبه القديس في هداية الناس وتقويم سلوكهم، ومنحه السلطة بذلك على الحكم، وإعطائه الشرعية في إقرار مصير أرواح الناس، وإحلال رجل الدين محل رجل الحكمة والفلسفة.

أما في الإسلام؛ فإننا نجد القرآن الكريم قد وضع لنا آيات كثيرة تتحدث عن العالم الآخر، وهذا العالم يختلف عمّا وجدناه في كتب الرؤى والتجليات الكشفية، فالقرآن يثبت لنا وجود هذا العالم، لكنه يظل عالما غامضا غير محدد الزمان والمكان، ويكتفي بذكر بعض صفات الجنة قال تعالى: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ " (آل عمران: 133)، كذلك لم يحدد الجحيم بل يذكر بعض صفاتها "إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى" (طه:74)|، "وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا " (الإسراء: 97)، والآيات في وصف العالم الآخر (الجنة/ النار) في القرآن الكريم كثيرة، ولسنا بصدد البحث عن صورة هذا العالم الأخروي في القرآن الكريم، فالقرآن كتاب إلهي، ووحي منزل من عند الله، يؤخذ بالتسليم والتصديق، وبحثنا مختص بالأدب الأخروي، وهو ما جاء فيه العالم الآخر على سبيل التخييل من قبل الأدباء، لكننا سنعرج عليه؛ لنبيّن الصلة والمورد الأساس الذي استقى منه الرواة والأدباء عند تناول هذه الثيمة في أدبهم. ونبدأ هنا بقصة المعراج.

تحكي قصة المعراج رحلة صعود النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء واطلاعه على العالم الآخر بعد الحياة، وهي رحلة جدلية، صدقتها طائفة، وأنكرتها طائفة أخرى، ولسنا بصدد تفنيد أو تأييد آراء كل طائفة، لكننا سنتناولها من زاوية سردية خاصة بثيمة العالم الآخر.

يتحدد مكان العالم الآخر في قصة المعراج في العالم العلوي، حيث هناك سبع سموات تنتهي بالفردوس، وما يغشاها من نعيم، وفي هذا العالم رأى النبي صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن يساره [39] في السماء الدنيا، كما رأى الجنة ووصفها أن ترابها مسك وفيها جنابذ اللؤلؤ[40]، ورأى خازن النار ليس على وجهه بشاشة أو بشر.

وإذا بحثنا في القرآن الكريم عن قصة المعراج، لن نجد ما يدل على حكي القرآن لها كما وردت في كتب الأحاديث والسير، أو كما ورد حديث إسراء النبي في القرآن نفسه بلفظ صريح غير قابل للتأويل، وهذا ما يدعم فكرة تناول قصة المعراج المحكية من البشر على أنها رواية سردية، دخل في سرديتها إعمال العقل البشري من تخيلات عجيبة، هدفها الرئيس إقرار نظام جديد، وتشريع جديد، ورسالة جديدة تحقق للإنسان سعادته الدنيوية والأخروية.

وتعد قصة معراج النبي صلى الله عليه وسلم كما نسبت روايتها لابن عباس قصة عجائبية أكثر من كونها إعجازية [41]، وكأن الرواة المسلمين سكبوا على الحادثة كل ما هو خارق وعجائبي، ظنا منهم أن ذلك سيسهم بدرجة كبيرة في تحقيق النظام الجديد والدين الجديد الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم، إنها

(1) ينظر: المباركفوري, صفي الرحمن, الرحيق المختوم, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, قطر, 2007, ص 138.

(40) ينظر: النيسابوري, أبو الحسين مسلم بن الحجاج, صحيح مسلم, دار إحياء الكتب العربية, ط1, 1991, ص149.

(41) ينظر: ابن عباس، معراج النبي، مكتبة التعاون، بيروت، د.ت.

وسيلة مثلى بالنسبة لهم؛ لإقناع الناس أن ذلك الكشف الإلهي لحياة أهل السماء وأهل الأرض بعد الموت يتحدد باتباع النظام المجتمعي الجديد، وتجنب كل ما قد يجعلك من أهل الجحيم؛ فيترقى بأعماله ليصبح من أهل النعيم.

ويتضح أن قصة المعراج تكشف عن عالم يوتوبي علوي ينتظر السعداء، ممن استقاموا واتبعوا التشريع الديني الذي أجلاه الله لنبيه في هذه الرحلة، وهناك عالم ديستوبي مرعب يقبع في الأرض السابعة، لأولئك الأشقياء الذين تمردوا على هذا النظام.

إن قصة المعراج، كما جاءت بها الروايات البشرية، لا تختلف عن كتب الرؤى الكشفية/ الجليانية التي ظهرت في القرن الأول الميلادي، وكانت تنسب رؤاها لأناس صالحين يتلقون هذا الكشف بواسطة رسول من الله، ومن خلال تلك الرؤى كانوا يقرون تعاليمهم الجديدة في ضبط سلوك الإنسان، وجعله إنسانا طيبا صالحا، وباتباع قوانينهم وتعاليمهم في الحياة تتحقق السعادة في الدنيا ثم الآخرة.

لكن الفارق بين تلك الرؤى الكشفية وقصة المعراج كما نسبت لابن عباس، أن الطوائف الدينية من مسيحية ويهودية أنكروا تلك الرؤى، ورفضوا أن تدرج ضمن الكتاب المقدس، بينما المسلمون تلقوا تلك الرواية على سبيل التقديس، وكفّروا منكريها، مع أن الإنكار كان للتفاصيل التي ذكرت في الحادثة بغض النظر عن الخلاف في الحادثة ذاتها. وهناك عمل آخر تناول موضوع العالم الآخروي هو رسالة الغفران للمعري، ولأن البحث لا يتسع للتفصيل فيها، كونها عمل يتطلب بحثا خاصا به، نرى أن نقيم دراسة مستقلة له.

ومما سبق، نلاحظ أن الأدب الأخروي بعد الميلاد اختلف في بعض خصائصه عن الأدب الأخروي قبل الميلاد، ونرصد هنا أبرز الخصائص ومحاور الاختلاف في النقاط الآتية:

1- أسهم ظهور الأديان في تغيير الصورة الأدبية للعالم الآخر، فبعد أن كان عالما ديستوبيا موحشا يضم أشباحا باهتة، أصبح عالما يوتوبيا يعد الإنسان بالنعيم المادي والمعنوي الأبدي والحياة السعيدة الدائمة التي طالما حلم بها في الدنيا.

2- العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد عالم بغيض؛ لذلك نجد الإنسان فيه يسعى لفكرة الخلود، ونشدان الحياة والتمسك بها قدر الإمكان، لكنه لا يحقق ذلك الخلود, أما في أدب ما بعد الميلاد؛ فالعالم الآخر عالم جميل مبتغى يتم التسابق إليه؛ لأنه العالم الحقيقي المنتظر الذي سيجد فيه ما لم يجده في الحياة من سعادة ونعيم.

3- العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد يعكس تصورا إنسانيا قلقا عن حتمية وجوده ومصيره المجهول بعد الموت، ويجلي رؤية الإنسان وفلسفته حول الكون والإنسان والحياة, بينما أدب ما بعد الميلاد؛ نجده يعكس تصورا إلهيا مأخوذا من كتب الأديان، فنجد العالم الآخر عند الأول موحشا بغيضا، لم يستطع الإنسان وفقا لتصوره الإنساني المحدود أن يقدم جمالياته، كما لم يستطع أن يرغب الأحياء في الانتقال إليه، وظلت فكرة التشبث بالحياة مهيمنة عليه، بينما في الثاني نجده مرغوبا جميلا؛ لأنه يمثل الحياة الحقيقة في حضرة الإله ونعيمه الموعود.

4- العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد عالم سفلي أرضي على اعتبار أن الأرض منبع الحياة، وإليها

الروح تعود، بينما في أدب ما بعد الميلاد فالعالم الآخر عالم سماوي يطل منه على جهنم في الأرض السابعة، وهو في كل مرحلة يعكس المعتقد الديني السائد زمن إنتاج العمل الأدبي.

5- العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد أدب رحلي عبر وسيط يتم بغرض كشف المستقبل والتنبؤ به ومعرفة المصير الوجودي للإنسان في الحياة لا بعد الموت أما بعد الميلاد؛ فإننا نجد العالم الآخر أو نراه من خلال رؤية/ أدب رؤيوي، يكون ـ أيضًا ـ عبر وسيط، غرضه إرساء نظام جديد، وتم توظيفه لحساب السلطة الحاكمة، وإعطاء شرعية لرجال الدين، وبحسب الاستجابة لهذا النظام السلطوي يتحدد مصير الإنسان لا الدنيوي بل الأخروي.

6- أما عنصر اللغة الأدبية والتكثيف الرمزي، وتوظيف العجائبي بجانب عنصر التخيل فهي سمات أساسية حاضرة في كل أعمال الأدب الأخروي.

وبعد أن فصلنا في خصائص الأدب الأخروي لنا أن نستشف العلاقة التي تربط بين الأدب الأخروي واليوتوبيا، بعد بيان مفهوم اليوتوبيا.

المبحث الثاني:

2 . 1 . مفهوم اليوتوبيا Utopia:

ظهر مصطلح (يوتوبيا)مع بدايات القرن السادس عشر، وتحديدًا في عمل توماس مور (Thomas Mor) الذي صاغه بعنوان «Utopia»، وهي كلمة "مشتقة من الكلمتين اليونانيتين: (ou) بمعنى لا، و(Topos) بمعنى مكان، وتعني الكلمة في مجموعها، ليس في مكان"[42] كما تعني المكان الطيب المثالي.

وتعود جذور دلالة مصطلح اليوتوبيا إلى تلك التصورات الفكرية والفلسفية عن بناء مدن مثالية، تتحقق فيها السعادة، وتمارس فيها العدالة، ويتمتع ساكنوها بالحرية والمساواة؛ فاليوتوبيا مجرد فرضيات وتخيلات لا تمت بصلة إلى الواقع، إنها "المكان المتخيل الذي لا وجود له على أي أرض"[43], من هذا التعريف نستطيع أن نقول: إن جذور اليوتوبيا تعود إلى أعمال إغريقية وعربية قديمة، لكنها لم تكن لتعرف هذا المصطلح الحديث، بل كانت تبني أعمالها اليوتيوبية تحت مسمى "المدينة الفاضلة".

إذن، تطلّعُ الإنسان وسعيُه الحثيث؛ لبناء مجتمعات مثالية ومدن فاضلة حلمٌ راوده منذ الأزل، وهذا الحلم الذي يستبدّ بالخيال الإنساني ويعاوده باستمرار "لا يمكن اجتثاثه أو استئصاله في مختلف العصور، سواء سمي بملكوت السماء، أو المجتمع اللاطبقي، أو العصر الذهبي ..."[44]، وهنا ينبثق السؤال: هل العالم العلوي (الأخروي) الذي يبني نظامَه الخيال الإنساني في أدب ما، ويجعل فضاءه ملكوت السماء يعدّ يوتوبيا؟

لقد أحالنا السؤال إلى الحفر والقراءة في أنماط اليوتوبيا، وتبيّن أن اليوتوبيا مرت بأشكال مختلفة في طريقة بنائها منذ أساطير الحضارات القديمة وحتى روايات القرن العشرين وما بعده، وحاول بعضهم تصنيفها من خلال زاوية النظر التي وفقها كان

(42) برنيزي، ماريا لويز, المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تر: عطيات أبو السعود، عالم المعرفة، الكويت، 225، 1997، صـ6.

(43) الحنفي، عبد المنعم, المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000, صـ497.

(44) مجموعة مؤلفين، اليوتوبيا والفلسفة، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2014، صـ16.

التصنيف، فمنهم من صنفها بالتركيز على المرسل ومقصده إلى: يوتوبيا الهروب ويوتوبيا الواقع، فالأولى تركز على المتعة الجسدية غالبًا، من وفرة للطعام والشراب والممارسات الجنسية، وتركز الثانية على التنظيم الاجتماعي، والأولى هي أقرب للفنتازيا، بينما الثانية فإنها تقدم على نحو واقعي، كما أن الأولى يحققها الرب، بينما الثانية يحدثها بشر[45]. تحضر الأولى في التراث الإنساني القديم إذ نجدها في "جنة عدن والقصص الإغريقية والرومانية عن جنة الأرض وفكرة الجنس أو العصر الذهبي الذي كان موجوداً في الماضي"[46]. كما أنها تحضر في الأعمال التي تصور العالم الأخروي وحياة السماء والجنة الموعودة كما تصورتها الفلسفة الإسلامية والشرائع الدينية، أما يوتوبيا الواقع فهي شكل صريح يناهض ويطرح البديل لنظام سلطة الواقع الراهن زمن الكتابة.

ويندرج التصنيف الأول ضمن نمط من أنماط اليوتوبيا يطلق عليه (اليوتوبيا الدينية)، وهي "أقدم اليوتوبيات ظهورًا إذ تقوم على الربط بين الوسيلة والغاية، والالتزام بالشريعة هو الوسيلة الإلهية التي يبلغ الإنسان بها الجنة"[47]؛ فالجنة في هذا البناء السماوي تمثل عالمًا يوتوبيّا، يحقق السعادة والعدالة المبتغاة.

2 . 2 . العلاقة بين اليوتوبيا والأدب الأخروي:

إذا نظرنا إلى معنى (يوتوبيا) وعدنا إلى تعريفاتها، سنجد أنها تشير إلى المكان الطيب المثالي السعيد، وهو معنى لا نجد له أثرًا في الأدب الأخروي قبل الميلاد، إذ كما بينا أن الأدب الأخروي قبل الميلاد كان يصف عالم ما بعد الحياة بأنه عالم موحش شاحب باهت وصورة مشوهة عن عالم الأحياء في الدنيا، ومن ثَمَّ لا أثر لوجود اليوتوبيا في هذه المرحلة، ومع ظهور الأديان ومجيئها بفكرة وجود عالم آخر فيه السعادة والحياة الرغيدة الأبدية، نكاد نلمس أثرًا لمعنى اليوتوبيا في هذا الأدب، ذلك أن المكان الطيب المثالي السعيد يتحقق في العالم الأخروي، حيث السعادة والعدالة التي يسعى إليها الإنسان اليوتوبي منذ الأزل لتحقيقها في مدنه الأرضية، لكنه رغم المحاولات فشل في تحقيقها.

ومن زاوية أخرى نجد أن الأدب اليوتوبي يهدف إلى تغيير وضع اجتماعي معين، وطرح نظام جديد يراه الكاتب أنه أصلح للمجتمع، وهذا النظام يتعلق بالدرجة الأولى بعلاقة الحاكم مع المحكومين، والنظام المفروض عليهم. وفي الأدب الأخروي نجد ما يماثل هذا الهدف مع اختلاف المرجعية، فالأدب الأخروي يعكس التصور الديني القائم على علاقة الإنسان بالإله، ويسعى إلى وضع نظام دنيوي يمتد جزاؤه نحو العالم الأخروي، وهذا النظام الدنيوي يسهم في تغيير نظام المجتمع من خلال التعاليم التي يفرضها، وبها تنتظم الحياة وشؤون الحكام والمجتمع، وقد أشارت مديحة عتيق في إحدى مقالاتها التي تحدثت فيها عن العلاقة بين اليوتوبيا والفردوس، أن الجنة هي اللبنة الأساس لليوتوبيا مع بيان الفارق بأن الفردوس يتحقق بقوة إلهية، بينما اليوتوبيا تتحقق بقوة الإنسان[48].

وثمة رابط آخر نجده حاضرا بين الأدبين، وهو عنصر السخرية والنقد من الوضع القائم بطريقة غير مباشرة،

(45) سارجنت، لايمان تاور، اليوتوبية، مقدمة قصيرة جدًا، تر: ضياء وراد، مؤسسة هنداوي، ط1، 2016، ص18.
(46) نفسه، ص19.
(47) نفسه، صـ24.
(48) ينظر: عتيق, مديحة, اليوتوبيا أو الفردوس الإنساني في الشعر العربي المعاصر، www.anfasse.org/index.php/2016.12-30-15-40-11.

إضافة إلى عنصر الخيال، وهو شرط رئيس لإدراج هذا النوع وذاك ضمن الأعمال الأدبية.

النتائج:

بعد هذا العرض لمفهوم الأدب الأخروي، وتتبع جذوره الأولى، وبيان خصائصه في مراحله المختلفة، خلص البحث إلى مجموعة من النتائج:

- ظهر الأدب الأخروي في بداياته عنصرًا سرديًا ضمن عمل أدبي ليس موضوعه الرئيس العالم الأخروي، بل حضر موضوع العالم الآخر بوصفه حدثًا يعمل على تحفيز عملية السرد، واتخاذه ثيمة يسعى الأديب من خلالها طرح قضايا وجودية وعقدية بالدرجة الأولى.
- ظلت صورة العالم الآخر في أدب ما قبل الميلاد ضبابية موحشة، كانت أشبه بعالم ديستوبي غير صالح للحياة، إلى أن جاءت الأديان وقدّمت صورة لعالم مثالي ظل يحلم به الإنسان منذ الأزل، لما فيه من عدالة ورفاهية وسعادة مطلقة، وهذا العالم له صلة بتغيير نظام الواقع، وتعديل سلوك الإنسان، وضبط علاقة السلطة الحاكمة بالمحكومين.
- استقل الأدب الأخروي بعد الميلاد، وأصبح الموضوع الرئيس في العمل بوصفه نوعًا أدبيًا قائما بذاته، وتحولت البنية السردية خادمة للموضوع بعد أن كان العكس.
- وظفت ثيمة الأدب الأخروي توظيفًا دينيًا سياسيًا، إما لشرعنة نظام السلطة الحاكمة، وتمكين رجال الدين من الحكم، وتقرير مصائر الناس من خلال الرؤى التي تحمل تشريعات جديدة، وتصب في صالح السلطة، وإما لنقد نظام الواقع، وطرح نظام بديل يساعد على تغيير المنظومة الحياتية السائدة زمن إنتاج العمل الأدبي.
- يمثل الأدب الأخروي نمطًا من أنماط اليوتوبيا، إذ يعد صورة أولية ليوتوبيا دينية، تبني عالمها المثالي مستندة لفلسفة دينية ترتبط بالإله الحاكم الأول الذي يضع قوانين بناء هذا العالم.

ختامًا: ما زال الأدب الأخروي منزويًا عن الدراسات الثقافية، وعليه تقترح الباحثة إلى ضرورة قراءة هذا النوع من الأدب في أعمال أدبية أخرى موجودة في المدونة العربية قراءة ثقافية، تكشف عن العديد من البنى المضمرة التي يستبطنها العمل الأدبي، منها السياسي والاجتماعي والثقافي.

المصادر والمراجع:

[1] القرآن الكريم.

[2] الكتاب المقدس، العهد القديم والجديد.

[3] ابن عباس، معراج النبي، مكتبة التعاون، بيروت، د.ت.

[4] أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو مصرية، د.ط، د.ت.

[5] باقر، طه، ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة، د.ط، د.ت.

[6] برنيزي، ماريا لويز، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تر: عطيات أبو السعود، عالم المعرفة، الكويت، 225، 1997.

[7] تودوروف، سفتيان، مفهوم الأدب، ودراسات أخرى، تر: عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2002.

[8] الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي القاهرة، ط3، 2000.

[9] حليفي، شعيب، الرحلة في الأدب العربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2002.

[10]زكار، سهيل، التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، دار قتيبة، ط1، 2007.

[11]سارجنت، لايمان تاور، اليوتوبية، مقدمة قصيرة جدًا، تر: ضياء وراد، مؤسسة هنداوي، ط1، 2016.

[12]سعد، جلال الدين، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.

[13]السعيدي، عبد الكريم خضير، الرحلة الخيالية إلى العالم الآخر، معادلا موضوعيا، مجلة الآداب، ع117، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2016.

[14]السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة، سورية وبلاد الرافدين، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط11، 1996.

[15]شديد، إسكندر (مترجم)، الرؤى المنحولة، دير سيدة النصر نسبيه- غوسطا، 1999.

[16]طلبة، منى، أدب الرحلة إلى العالم الآخر، دراسة مقارنة لرسالة الغفران، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 1997.

[17]عتيق، مديحة، اليوتوبيا أو الفردوس الإنساني في الشعر العربي المعاصر، www.anfasse.org/index.php/2016.12-30-15-40-11.

[18]فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1988.

[19]فرجيليوس، الإنياذة، تر: كمال ممدوح وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2011.

[20]الفغالي، الخوري بولس، سفر الرؤيا بين الأمس واليوم، الرابطة الكتابية/ ضمن دراسات بيبلية 15، 1997.

[21]الفغالي، الخوري بولس، على هامش الكتاب 3 أخنوخ سابع الآباء، الرابطة الكتابية، لبنان، ط1، 1999.

[22]الفيشاوي، سعد، المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007.

[23]القاضي، محمد،، وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.

[24]المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2007.

[25]مجموعة مؤلفين، اليوتوبيا والفلسفة، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2014.

[26]المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008.

[27]النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1991.

[28]هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2008.

[29]هوميروس، الأوديسة، تر: دريني خشبة، دار التنوير، بيروت، ط1، 2013.

[30]وليك، رينه، وآرن، أوستن، نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، 1992.